

الباب اذا غلقتة وأطبقتة وهي لغة قريش على ماروى عن مجاهد وظاهر كلام ابن عباس عدم الاختصاص
٣٣. ومن ذلك قول الشاعر

تمن الى أجيال مسكة نافتى ❦ ومن دونها أبواب صنعاه مؤصده

ويجوز أن يكون من أوصدت بمعنى غلقت أيضا وهمز على حد من قرأ بالسوق مهموزا وقرأ غير واحد من
السبعة موصدة بغير همز فيظهر أنه من أوصدت وقيل يجوز أن يكون من آصدت وسهلت الهمزة وقال الشاعر

قوما يعالج قلا ابناؤهم ❦ وسلاسلامسا وأبابا موصدا

والمراد مغلقة أبوابها وإنما غلقت لتشد يد العذاب والعباء بالله تعالى عليهم وصرح بوعيدهم ولم يصرح بوعدا المؤمنين
لانه الانسب بما سبق له الكلام والافق بالفرض والمرام ولذا جرى بضمير الفصل معهم لافادة الحصر
واعتبروا غيبا كأنهم بحيث لا يصله حون بوجه من الوجوه لان يكونوا مشارا اليهم ولم يسلك نحو هذا
المسلك في الجملة الاولى التى فى شأن المؤمنين ونقل عن الشمنى انه قال الحكمة فى ترك ضمير الفصل فى
الاولين والانيان بدله باسم الاشارة أن اسم الاشارة يؤتى به لتمييز ما أريد به أكل تمييز كقوله

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه ❦ من نسل شيان بين الضال والسلم

ولا كذلك الضمير فان اسم الاشارة البعيد يفيد التعميم لتنزيل رفعة محل المشار به اليه منزلة بعد درجته
فاسم الاشارة لتنظيم والاشارة الى تمييزهم واستحقاقهم كل الشهرة بخلاف أصحاب المشأمة والضمير لا
يفيد ذلك انتهى وفيه ان اسم الاشارة كما يفيد التعميم يفيد التحقير كما فى قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم
وكل الشهرة كما يكون فى الخير يكون فى الشر فأى مانع من اعتبار استحقاقهم كل الشهرة فى الشر وبالجملة
ما ذكره ليس بشئ ولعل ما ذكرناه هو الاولى فتدبر

سورة الشمس

مكية بلاخلاف وآياتها ست عشرة آية فى السكى والمدنى الأول وخمس عشرة فى الباقية ولما ختم سبحانه
السورة المتقدمة بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أعاد جل شأنه فى هذه السورة الفريقين على سبيل
التفليكة بقوله سبحانه قد أفواج من زكاها وقد خاب من دساها وفى هذه فاهلها نجورها وتقواها وهو
كالبیان لقوله تعالى فى الاولى وهديناه النجدين على أول التفسيرين وختم سبحانه الاولى بشئ من أحوال الكفرة
فى الآخرة وختم جل وعلا هذه بشئ من أحوالهم فى الدنيا فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ وَضُحِيِّهَا﴾ أى ضوءها كما أخرجها الحالم وصححه عن ابن عباس والمراد

إذا أشرقت وقام سلطانها وقال بعض المحققين حقيقة الضحى تباعد الشمس عن الأفق الشرقى المرئى وبروزها
لناظرين ثم صار حقيقة فى وقته ثم انه قيل لاول الوقت ضحوة ولما يليه ضحى ولما بعده الى قريب
الزوال ضحاه بالفتح والمد فاذا أضيف الى الشمس فهو مجاز عن اشراقها كما هنا ونقل عن المبرد أن الضحى
مشتق من الضح وهو نور الشمس والالف مقبولة من الحاء الثانية وكذلك الواو من ضحوة مقبولة منها
وتعقبه أبو حيان بقوله له مختاق عليه لان المبرد أجل من أن يذهب الى هذا وهذان مادتان مختلفتان لاشتقاق
احدهما من الاخرى وأجيب بانه لم يرد الاشتقاق الصغير ولا يخفى حاله على الصغير والكبير وعن مقاتل ان
ضحاهما حرها وهو تفسير باللازم وعن مقاتل المراد به النهار كله وفيه انه تعالى أقسم به بعيد ذلك ﴿وَالْقَمَرِ
إِذَا تَلَّيْهَا﴾ أى تبعها فقيل باعتبار طلوعه وطلوعها أى اذا تلا طلوعه وطلوعها بان طلع من الأفق الشرقى بعد

طلوعها وذلك أول الشهر فان الشمس اذا طلعت من الافق الشرقي أول النهار يطلع بعدها القمر لكن لاسلطان له فيرى بمد غروبها هلالا ومناسبة ذلك للقسم به لانه وصف له بابتداء أمره فكان ان الضحى كسباب النهار فكذا غرة الشهر كولداته وقيل باعتبار طلوعه وغروبها أى اذا تلا طلوعه وغروبها وذلك في ليلة البدر رابع عشر الشهر فانه حينئذ في مقابلة الشمس والبعد بينهما نصف دور النلك فاذا كانت في النصف الفوقانى منه أعنى مايلي رؤسنا كان القمر في التحتانى منه أعنى مايلي اقدامنا فاذا غربت طلعت من الافق الشرقي وهو المروى عن قتادة وقولهم سمي بدرأ لانه يسبق طلوعه وغروب الشمس فكانه بدرها بالطلوع لاينساقه لانه مبنى على التقريب ومناسبة ذلك للقسم به لانه وقت ظهور سلطانه فيناسب تعظيم شأنه وقال ابن زيد تبعها في الشهر كله ففي النصف الاول تبعها بالطلوع وفي الآخر بالغروب ومراده ما ذكر في القولين وقيل المراد تبعها في الاضائة بأن طلعت وظهر مضيئاً عند غروبها آخذاً من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر فانه فيه يأخذ كل ليلة منه قدراً من النور بخلافه في النصف الثانى وهو مروى عن ابن سلام واحتاره الزمخشري وقال الحسن والفراء كما في البحر أى تبعها في كل وقت لانه يستضيء منها فهو يتلوه لذلك وأنكر بعض الناس ذهاب أحد من السلف الى أن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس وزعم أنه رأى المنجمين لاغير وما ذكر حجة عليه والحجة عن أصل المسألة أظهر من الشمس وهي اختلاف تشكيلاته النورية قربا وبعداً منها مع ذهاب نوره عند حيلولة الارض بينه وبينها وكون الاختلاف لاحتمال أن يكون أحد نصفيه مضيئاً والنصف الآخر غير مضيء وأنه يتحرك على محوره حركة وضعية حتى يرى كل نصف منهما تدريجاً وكون ذهاب النور عند الحيلولة لاحتمال حيلولة جسم كثيف بيننا وبينه لانراه أضعف من حبال القمر كما لا يخفى وقال الزجاج وغيره تلاها معناه امتلاء واستدار فكان تابعا لها في الاستدارة وكال النور (والنهار اذا جليها) أى جلى النهار الشمس أى أظهرها فانها تتجلى وتظهر اذا انبسط النهار ومضى منه مدة فالاسناد مجازى كالاسناد في نحو صام نهاره وقيل الضمير المنصوب يعود على الارض وقيل على الدنيا والمراد بها وجه الارض وما عاين وقيل يعود على الظلمة وجلاها حينئذ بمعنى ازالها وعدم ذكر المرجع على هذه الاقوال للعلم به والاول أولى لذكر المرجع واتساق الضمائر وجوز بعضهم أن يكون الضمير المرفوع المستتر في جلاها عليه عائداً على الله عزوجل كأنه قيل والنهار اذا جلى الله تعالى الشمس فيكون قد اقسام سبحانه بالنهار في كل حالاته وهو وكاترى (والليل اذا يغشيها) أى الشمس فيغطى ضوءها والاسناد كما مروى وقيل أى الارض وقيل أى الدنيا وحىء بالمضارع هنا دون الماضى كما في السابق بأن يقال اذا غشيها قال أبو حيان رعاية للفاصلة ولم يقل غشاها لانه يحتاج الى حذف أحد المفعولين لتمديه اليهما فانه يقال غشيته كذا كما قال الراغب كذا قيل وقال بعض الاجلة حىء بالمضارع للتنبيه على استواء الازمنة عنده تعالى شأنه وقال الحفاجى الاولى أن يقال المراد بالليل الظلمة الحادثة بعدم الضوء لا العدم الاصلى والظلمة الاعلية فان هذه أظهر في الدلالة على القدرة وهي مستقبلية بالنسبة لما قبلها فلا بد من تغيير التعبير ليبدل على المراد واستصعب الزمخشري الامر في نصب اذا بأن ما سوى الواو الاولى ان كانت عاطفة لزم العطف على معمولى عاملين مختلفين كمعطف النهار مثلا على الشمس المعمول لحرف القسم وعطف الظرف أعنى اذا في اذا جلاها على نظيرتها في اذا تلاها المعمول لفعل القسم وان كانت قسمية لزم اجتناع المقسمات المتعددة على جواب واحد وقد استكره الخليل وسيبويه وأجاب باختيار الشق الاول ونفى ما لزمه فقال ان واو القسم مطروح معها ابراز الفعل اطر احكليا (١) فكان لها شأن

(١) وصرح ابن كيسان بجواز التصريح بفعل القسم مع الواو فلا تغفل اه منه

خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل تارة وأضمر أخرى فكانت الواو قائمة مقام فعل القسم وباؤه سادة مسددا معا والواوات العواطف نوابغ عن هذه الواو فهي عاملة الجبر وعاملة النسب فالمطغ من قبيل العطف على معمولى عامل واحد وهذا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالد فترفع بالواو وتنصب اقيامها مقام ضرب الذى هو عاملها انتهى وأنت تعلم ان أول الواوات العواطف هنا ليس معها ما تمم في النسب فلعله أراد انها تعمل ذلك ان كان هناك منصوب أو هي عاملة باعتبار ان معنى والشمس وضحاها والشمس وضوئها اذا اشترقت وفيه أيضا أنه لم يقل أحد بأن الحروف العواطف عوامل وأيضا الاشكال مبنى على امتناع العطف على معمولى عاملين مطلقا حتى لو جوز مطلقا أو بشرط كون المطوف مجرورا على ما ذهب اليه جمع كما في قولك في الدار زيد والحجرة عمرو لم يكن اشكال وأيضا هو مبنى على قبول هذا الاستكراه وعدم امكان التخاص من الاجتهاد بتقدير جواب لسكل من المقسمات حتى اذا لم يقبل أو قبل وقدر لسكل جواب لم يبق أشكال وأيضا هو مبنى على أن اذا ظرفية وهو ممنوع لجواز أن تكون قد تجردت عن الظرفية وحينئذ تكون بدلا مما بعد الواو كما قيل في قوله

وبعد غد يالهف نفسى من غد **ت** اذا راح أمحبابى ولست برائح

ان اذا بدل من غد وعلى تسليم أنها ظرفية يجوز أن يقدر مع كل مضاف تتعلق به كان يقدر وتلو القمر اذا تلاها وتجليه النهار اذا جلاها وغشيان الليل اذا يغشاها أو تجعل متعلقة بمحذوف وقع حالا مقدرة مما نليه أى أقسم بالقمر كأننا اذا تلاها وبالليل كأننا اذا جلاها كما زعمه بعضهم وفيه بحث وأيضا يرد على الزمخشري مثل قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس لان الواو هنالك عاطفة وقد تقدم صريح فعل القسم كما ذكره الشيخ ابن الحاجب على أن التحقيق كما قال بعض المحققين أن الظرف ليس معمولاً لفعل القسم لفساد المعنى اذا التقييد بالزمان غير مراد حالا كان أو استقبالا وإنما هو معمول مضاف مقدر من نحو المظلمة لان الاقسام بالشئ اعظام له فكانه أقسم بمظلمة زمان كذا ومما قيل عليه من أن اقسامه تعالى بشئ مستعار لاظهار عظمتة وابانة شرفه فيجوز تقييده باعتبار جزء المعنى المراد يعنى الاظهار وأيضا اذا كان الاقسام اعظاما لغا تقديره فلو سلم فالاستعارة اما تسمية أو تمثيلية وعلى كل حال فليس ثبت ما يكون متعلقا بحسب الصناعة والتقدير ليعتقد به ويظهر ما أريد منه مؤكداً فلا لغوية **(والسما وما بينها)** أى ومن بناها واينار ما على من لارادة الوصفية تفخيما على ما تقدم في وما ولد كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها ودل على وجوده وكال قدرته بناؤها والمراد به ايجادها بحيث تدل على ذلك ويستدل بها عليه وهو أولى من تفسيره ببيانها لاشعاره بالمراد من البناء (١) وكذا الكلام في قوله تعالى **(والأرض وما تحيها)** أى بسطها من كل جانب ووطأها كدحاها ويكون طحا بمعنى ذهب كقول علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب **ت** بعيد الشباب عصر حان مشيب

وبمعنى أشرف وارتفع ومن أيمانهم لا والقمر الطاحي ويقال طحا يطحو وطحوا وطحى يطحى وطحا وقوله سبحانه **(ونفس وما سواها)** أى أنشأها وأبدعها مستعدة لكالها وذلك بتعديل أعضائها وقواها الظاهرة والباطنة والتخبر للتكثير وقيل للتفخيم على أن المراد بالنفس آدم عليه السلام والاول أنسب بجواب القسم الآتى ومن ذهب الى ذلك جملة من الاستخدام وذهب الفراء والزجاج والمبرد وقتادة وغيرهم الى أن ما في المواضع الثلاث مصدرية أى

(١) وهو أنه ذكر للاستدلال اه منه

وبنائها وطحوها وتسويتها وتعقبه الزمخشري بأنه ليس بالوجه لقوله تعالى (فأهمها فجورها وتسويتها) وما يؤدي إليه من فساد النظم وذلك على ما في الحواشي لما يلزم من عطف الفعل على الاسم وأنه لا يكون له فاعل لا ظاهر وهو ظاهر ولا مضمير لعدم مرجعه واعتراض بان الأخير منتقض بالأفعال السابقة أعني بناها طحها سواها على أن دلالة السياق كافية في صحة الاضمار وأما الأول ففيه أن عطف الفعل على الاسم ليس بفساد وإن كان خلاف الظاهر على أنه عطف على ما بعد ما كانه قيل ونفس وتسويتها فالهامها فجورها وتقواها واعتراض هذا بان الفاء يدل على الترتيب من غير مهمة والتسوية قبل نفخ الروح والالهام بعد البلوغ وأجيب بان التسوية تعديل الاعضاء والقوى ومنها المفكرة والالهام عبارة عن بيان كيفية استعمالها في التجدين في هذا المحل وهو غير مفارق عنه منذ سوى نعم يزداد بحسب ازدياد القوى كيفية لا وجودا على ان المهمة في نحوها عرفي وقد يعد متعقبا دون تراخ ثم أنه مشترك الالزام ولا معنى لقول الطيبي النظم السرى يوجب موافقة القرائن فلا يجوز ونفس وتسويتها فالهامها الله فهي حاصلة وإنما ذلك بناء على توهم ان قوله تعالى فالهامها جملة وبالجملة لا يلوح فساد هذا الوجه وأبي القاضى عبد الجبار الا مصدرية دون الموصولة قال لما يلزم منها تقديم الاقسام بغير الله تعالى على اقسامه سبحانه بنفسه عز وجل وأجاب عنه الامام بأن أعظم المحسوسات الشمس فذكرها الله تعالى مع أوصافها الاربعة الدالة على عظمها ثم ذكر سبحانه ذاته المقدسة ووصفها جل وعلا بصفات ثلاث ليحظى العقل بادرارك جلال الله تعالى وعظمته سبحانه كما يليق به جل جلاله ولا ينازعه الحس فكان ذلك طريقا الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى بيده أوج كبريائه جل شأنه وجوز أن تكون ما عبارة عن الامر الذي له بنيت السماء وطحيت الارض وسويت النفس من الحكم والمصالح التي لا تحصى ويكون اسناد الافعال اليها مجازا وفاعل ألهمها يجوز أن يكون ذلك أمرو ويكون الاسناد مجازا أيضا وهو كاترى والفجور والتقوى على ما أخرج عبد بن حميد وغيره عن الضحاك المصيبة والطاعة مطلقا قليبين كانا أو قليبين والهامها النفس على ما أخرج هو وابن جرير وجماعة عن مجاهد تعريفهما اياها بحيث تميز رشدها من ضلالها وروى ذلك عن ابن عباس كما في البحر وقريب منه قول ابن زيد ألهمها فجورها وتقواها بينهما لها وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهما نحوه عن قتادة والآية على ذلك نظير قوله تعالى وهديناهم للتجدين وقدم الفجور على التقوى لان الالهام بهذا المعنى من مبادئ تجنبه وهو تخلية والتخلية مقدمة على التحلية وقيل قدم مراعاة للفواصل وأضيفا الى ضمير النفس قيل اشارة الى ان الملهم للنفس فجور وتقوى قد استمدت لهما فهما لها بحكم الاستعداد وقيل رعاية للفواصل أيضا وقوله تعالى (قد أفلح من زكيا) جواب القسم على ما أخرجه الجماعة عن قتادة واليه ذهب الزجاج وغيره وحذف اللام كثير لا سيما عند طول الكلام المقضى للتخفيف أو لسده مسدها وفاعل زكاه ضمير من والضمير المنصوب للنفس وكذا في قوله تعالى (وقد خاب من دسها) وتكرير قد فيه لابرار الاعتناء بتحقيق مضمونه والابدان يتعلق القسم به أصالة والتزكية التمية والتدسية الاخفاء وأصل دس دس فابدل من ثبات الثمالات ياء ثم أبدلت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها واطلق بعضهم فقال ابدك من ذلك حرف علة كما قالوا في تقض تقضى ودس مبالغة في دس بمعنى اخفى قال الشاعر ودست عمرا في التراب فأصبحت حلالته منه أرامل ضيما

وفي الكشف التزكية الأتماء والاعلاء والتدسية النقص والاختفاء أى لقد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أمي نفسه واعلاها بالتقوى علما وعملا ولقد خسر من نقصها واخفاها بالفجور

جبالا وفسوقا وجوز ان تفسر التزكية بالتطهير من دنس الهوى والتدسية بالاخفاء فيه والتلوث به واياها كان ففي الوعد والوعيد المذكورين مع اقسامه تعالى عليهما بما اقسام به مما يدل على السلم بوجوده تعالى ووجوب ذاته سبحانه وكمال صفاته عز وجل ويذكر عظام آلائه وجلائل نعمائه جل وعلا من اللطف بعباده ما لا يخفى وقوله تعالى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها وجعل الزمخشرى قوله تعالى قد افلح الخ تابعا لقوله تعالى فاهلها الخ على سبيل الاستطراد وأبى أن يكون جواب القسم وجعل الجواب محذوفا مدلولا عليه بهذا كانه قيل ليدمد من الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما دمد من على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام فقيل ان ذلك لما يلزم من حذف اللام وأنه لا يابق بالنظم المعجز أن يجعل أدنى الكاين أعنى التزكية لاختصاصها بالقوة العمليّة المقصود بالاقسام ويمرض عن أعلاهما أعنى التحلية بالمقائد اليقينية التي هي لب الألباب وزبدة ما غصنته الاحقاب ولو سلم عدم الاختصاص فهم مقدمة التحلية في البابين وأما حذف القسم عليه فكثير شائع لاسيما في الكتاب العزيز وتعب بان حذف اللام كثيرا لاسيما مع الطول وهو أسهل من حذف الجملة بتهاها وقد ذكره في قد افلح المؤمنون فاحدا بما بدا وأن التزكية مراداً بها الانماء لاختصاصها لمقدمة بل مقصودة بالذات ولو سلم فلان مانع من الاعتناء ببعض المقدمات أحيانا لتوقف المقاصد عليها فتدبر وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه قال في فاهلها الزمها وأخرجه الديلمي عن أنس مرفوعا وعلى ذلك قال الواحدى وصاحب المطلع الالهام أن يوقع في القلب التوفيق والحذلان فاذا أوقع سبحانه في قاب عبد شيئا منهما فقد أزمه سبحانه ذلك الشيء ويزيد ذلك قوة ما أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود عن عمران بن حصين أن رجلا من مزينة أتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يمل الناس ويكدهون فيه أئى قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أناهم به نبينهم وثبت الحججة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام لا بل ثوى قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فاهلها فجورها وتقواها ولا يقتضى ذلك أن لا يكون لقدرة العبد واختياره مدخل في الفجور والتقوى بالكيفية وان قيل أن ما له الى خلق الله تعالى ايها ليقال ياأباه حينئذ قوله تعالى قد افلح من زكاه الخ حيث جعل فيه العبد فاعل التزكية بالتقوى والتدسية بالفجور لان الاسناد يقتضى قيام المسند ويكفى فيه المدخلة المذكورة ولا يتوقف صحة الاسناد حقيقة الى العبد على كون قوله الابداع فالاستدلال بهذا الاسناد على كونه ممكنا من اختيار ما شاء من الفجور والتقوى وايجاده اياه بقدرته مستقلة فيه على خلاف ما يقوله الجماعة ليس يعنى على أن الضمير المستتر في زكاه وكذا في دساها لله عز وجل والبارز لمن بتأويل النفس فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في ذلك يقول الله تعالى قد افلح من زكى الله تعالى نفسه فهده وقد خاب من دسى الله تعالى نفسه فأضله بل أخرج عنه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في قوله تعالى قد افلح من زكاه الآية أفلحت نفس زكاه الله تعالى وخابت نفس خبيها الله تعالى من كل خير وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة ومسلم والنسائي عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاه أنت وليها ومولاها وفي رواية الطبرانى وغيره عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام اذا تلا هذه الآية وقف وقال ذلك ولهذا الاخبار ونحوها قال بعضهم ان ذلك هو

المرجح ورجحه صاحب الانتصاف بان الضمائر في والسما وما بناها الخ تكون عليه متسقة عائدة كلها الى الله تعالى وبأن قوله تعالى قد أفلح من تركى أوفق به لان تركى مطاوع زكى فيكون المعنى فداً أفلح من زكاه الله تعالى فتزكى ومع هذا كله لا ينبغي ان ينكر ان المعنى السابق هو السابق الى الذهن وما ذكر من الاخبار ليس ناصاً في تمييز المعنى الآخر نعم هو نص في تكذيب الزمخشري في زعمه انه من تعكيس القدرية يعنى بهم اهل السنة والجماعة فتأمل. والظنوى مصدر من الطغيان يعنى تجاوز الحد في العصيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياه بان قلبوا الياه واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا في الصفة امرأة صدياوخز ياوفى في الاسم تقوى وظنوى كذا في الكشاف وغيره وكلام الراغب يدل على ان طغى واوى ويأى حيث قال يقال طفوت وطفيت طفوانا وطفيانا فلا تفعل . والباء عند الجمهور للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طفيانها كما تقول ظلمنى الخبيث بجرائئه على الله تعالى وجملها الزمخشري للاستعانة والامر سهل وجوز ان تكون صلة للتكذيب على معنى كذبت بما اوعدت به في لسان نبيها من العذاب ذى الظنوى أى التجاوز عن الحد والزيادة ويوصف المذاب بالطغيان بهذا المعنى كما في وقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقد يوصف بالظنوى مبالغة كما يوصف بسائر المصادر لذلك فلا يكون هناك مضاف محذوف . وقرأ الحسن ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة طفواها بضم الطاء وهو مصدر أيضا كالرجمى والحسنى في المصادر إلا أنه قيل كان القياس الطغيا كالسقى لان فعلى بالضم لا يفرق فيه بين الاسم والصفة كأنهم شذوا فيه فقلبوا الياه واوا وانت تعلم أن الواو عند من يقول طفوت أصلية (إذ انبعث) متعلق بكذبت أو بظنوى وانبعث مطاوع بعته يعنى أرسله والمراد إذ ذهب لعقر الناقة (أشقيها) أى أشقى ثمود وهو (١) قدار بن سالف أو هو ومن تصدى معه لعقرها من الأشقياء اثنان على ما قال الفراء أو أكثر فان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم المقر مع اشتراك الكل في الرضا به ولجائث غير ذلك يعلمها الله تعالى فيهم هى فوق خباثت من عداهم (فقال لهم) أى لثمود أو لاشقاها على ما قيل بناء أن المراد به جمع ولا يابأه وسقياها كما لا يخفى (رسول الله) هو صالح عليه السلام وعبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوم وتمامهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله سبحانه (ناقة الله) وهو نصب على التحذير وشرطه ليس تكرير المحذوم أو كونه محذرا بما بعده فقط ليقال هو منصوب بتقدير ذروا أو احذروا لاعلى التحذير بل شرطه ذلك أو العطف عليه كما هنا على مانص عليه مكى والكلام على حذف مضاف أى احذروا عقر ناقة الله أو المعنى على ذلك وان لم يقدر في نظم الكلام وجوز أن يكون التقدير عظموا أو الزموا ناقة الله وليس بشيء (وسقياها) أى واحذروا سقياها فلا تتعرضوا بمنها عنها في نوبتها ولا تستأثروا بها عليها وقيل الواو للحمية والمراد ذروا ناقة الله مع سقياها ولا تحولوا بينهما وهو كما ترى وقرأ زيد بن علي ناقة الله بالرفع فقيل أى همك ناقة الله وسقياها فلا تمقروها ولا تستأثروا بالسقى عليها (فكذبوه) أى في وعيده ايام كما حكى عنه بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذنكم عذاب أليم فالتكذيب لجر مقدر ويجوز أن يكون لجر تضمنه الامر التحذيرى السابق وهو لجر بحلول المذاب ان فعلوا ما حذرهم منه وقيل ان ما قاله لهم من الامر قاله ناقلا عن الله تعالى كما يؤذن بذلك التعبير عنه عليه السلام بعنوان الرسالة وما ل ذلك أنه قال لهم انه قال الله تعالى

ناقة الله وسقياها فالتكذيب لذلك وهو وجه لا بأس به (فمقرؤها) أى فحرقوها أو فقتلواها وضمير الجمع للاشقي وجمعه على تقدير وحدته لرضا الكل بقره قال قتادة بلغنا انه لم يقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكركم وأنهم (قدمتم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وقالوا دمدم عليه القبر أى أطبقه وهو مما تكرر فيه الفاء فوزنه فمقل لا فمقل من قولهم ناقة دمومة اذا لبسها الشحم وغطاها وقال في انقاموس معناه أتم العذاب عليهم وقال مؤرج الدممة اهلاك باستئصال وفي الصحاح دمدمت الشيء أنزقته بالارض وطحطحته وقرأ ابن الزبير فدهم بهاء بين الدالين والمعنى كما تقدم (بذنبيهم) بسبب ذنبيهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بماقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) الضمير للدممة المفهومة من دمدم أى جعل الدممة سواء بينهم أو جعلها عليهم سواء فلم يفلت سبحانه منهم أحدا لاصغيرها ولا كبيرا أو هو لثمود والتأنيث باعتبار القبيلة كما في طفواها وأشقاها والمعنى ما ذكر أيضا أو فسواها بالارض (ولا يخاف) أى الرب عز وجل (عقبيها) أى عاقبتها وتبعها كما يخاف الماقيبون من الملوك عاقبة مايقملونه وتبعته وهو استعارة تمثيلية لاهانتهم وأنهم أذلاء عند الله جل جلاله والواو للحال أو للاستئناف وجوز أن يكون ضمير لا يخاف للرسول والواو للاستئناف لا غير على ما هو الظاهر أى ولا يخاف الرسول عقبي هذه الفعلة بهم اذ كان قد أنذرهم وحذرهم وقال السدى والضحاك ومقاتل والزجاج وابو على الواو للحال والضمير عائذ على اشقاها أى انبثت لقرها وهو لا يخاف عقبي فعمله لكفره وطقبائه وهو اسد بماقبله بكثير وقرأ أبى والاعرج ونافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء وقرىء ولم يخف بواو وفعل مجزوم ولم هذا واختلف في هؤلاء القوم هل آمنوا ثم كفروا أو لم يؤمنوا أصلا فالجمهور على الثانى وذهب بعض الى انهم آمنوا وبابعوا صالحا مدة ثم كذبوا وافاها كوا بما فصل في موضع آخر وقال الشيخ الأبرمجي الدين قدس سره في فصوصه أنهم وقوم لوط عليه السلام لا نجاة لهم يوم القيامة بوجه من الوجوه ولم يساو غيرهم من الامم المكذبة المهلكة في الدنيا كقوم نوح عليه السلام بهم ولكلامه قدس سره أهل يفهمونه فارجع اليهم في فهمه ان وجدتهم * وذكر بعض أهل التأويل ان الشمس اشارة الى ذات واجب الوجود سبحانه وتعالى وضحائها اشارة الى الحقيقة المحمدية والقمر اشارة الى ماهية الممكن المستفيدة للوجود من شمس الذات والنهار اشارة الى العالم بسائر أنواعه الذى ظهرت به صفات جمال الذات وجلاله وكبره والليل اشارة الى وجود مايشاهد من أنواع الممكنات الساتر في أعين المحجوبين للوجود الحق والسماء اشارة الى عالم العقل والارض اشارة الى عالم الجسم والنفس معلومة وناقة الله اشارة الى راحة الشوق الموصلة اليه سبحانه وسقياها اشارة الى مشربها من عين الذكر والفكر وقال بعض آخر الشمس اشارة الى الوجود الحق الذى هو عين الواجب تعالى فهو أظهر من الشمس الله نور السموات والارض وقال شيخ مشايخنا البنديجى قدس سره

ظاهرا أنت ولكن لا ترى * لعيون حجبها القط

وضحاها اشارة الى أول التعينات باى اسم سميته والقمر اشارة الى الاعيان الثابتة المفاضة بالفيض الاقدس أو الشمس اشارة الى الذات وضحاها اشارة الى وجودها والاضافة للتغاير الاعتبارى والقمر اشارة الى أول التعينات والنهار اشارة الى الممكنات المفاضة بالفيض المقدس والليل اشارة اليها أيضا باعتبار نظر المحجوبين أو انهار اشارة الى صفة الجمال والليل اشارة الى صفة القهر والجلال والسماء اشارة الى عالم اللطافة وذكر النفس مع دخولها في هذا العالم للاعتناء بشاؤها والارض اشارة الى عالم الكثافة وناقة الله اشارة الى الطريقة وسقياها

مشرها من عين الشريعة وقيل غير ذلك والله تعالى الهادي الى سواء السبيل

سورة الليل

لاخلاف في أنها احدى وعشرون آية واختلف في مكيتها ومدنيتها فالجمهور على أنها مكية وقال علي بن أبي طلحة مدينة وقيل بعضها مكى وبعضها مدني وكذا اختلف في سبب نزولها فالجمهور على أنها نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وروى ذلك باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وقال السدي انها نزلت في أبي الدرداح الانصاري وذلك أنه كان في دار منافق نخلة يقع منها في دار يتامى في جواره بعض بلع فيأخذه منهم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم دعها لهم ولك بدلها محل في الجنة فابى فاشتراها أبو الدرداح بحائلها فقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهبها لهم بالنخلة التي في الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم افعل فوهبها فنزلت وروى نحوه مطولا مهما فيه أبو الدرداح ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند ضعيف كما نص عليه الحافظ السيوطي وذكر بعضهم أن قوله تعالى فيها وسيجزيها الا تقي الخ نزل في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وسكت عما عداه ونقل عن بعض المفسرين ان هذا مجمع عليه وان زعم بعض الشيعة انه نزل في الامير كرم الله تعالى وجهه وسيتأتى ان شاء الله تعالى شرح ما له نزل ولما ذكر سبحانه فيما قبلها فبدأ فليح الخ ذكر سبحانه فيها من الاوصاف ما يحصل به انفلاح وما يحصل به الخيبة فيها انواع تفصيل لذلك لا سيما وقد عقب جل وعلا ذلك بشئ من انواع الفلاح وأنواع الخيبة والعباد بالله تعالى فقال عز من قائل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * أَي حِينَ يَغْشَى الشَّمْسُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىهَا أَوْ النَّهَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ أَوْ كُلِّ مَا يُوَارِيهِ فِي الْجُمْلَةِ بِظِلَامِهِ وَالْمَقْسَمُ بِهِ فِي الْأَوْجِهَةِ الثَّلَاثُ اللَّيْلُ كُلُّهُ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وانكشف بطولوع الشمس والاول على تقدير كون المغشى النهار أو كل ما يوارى اذ ما لهما اعتبار وجود الظلام والثاني على تقدير كونه الشمس اذ ما له اعتبار غروبها فيحسن التقابل بين القرينتين على ذلك واختلف الفلن مضيا واستقبالا قد تقدم الكلام فيه وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمر تتجلى بناء على أن الضمير للشمس وقرئ تجلى بضم التاء وسكون الجيم على أن الضمير لها أيضا ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ أي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنف الذكر والانثى من الحيوان المتصف بذلك وقيل من بنى آدم وقال ابن عباس والحسن والكلبي المراد بالذكر آدم عليه السلام وبالانثى حواء رضي الله تعالى عنها وأياما كان فما موصولة بمعنى من واو ثرت عليها الارادة الوصفية على ما سمعت وتحتمل المصدرية وليس بذلك وقرئ والذي خلق وقرأ ابن مسعود والذكر والانثى وتبعه ابن عباس كما أخرج ذلك ابن النجار في تاريخ بغداد من طريق الضحاك عنه ونسبت لعلي كرم الله تعالى وجهه وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن علقمة انه قدم الشام مجلس الى أبي الدرداه رضي الله تعالى عنه فقال له أبو الدرداه فن أنت فقال من أهل الكوفة قال كيف سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ والليل اذا يغشى قال علقمة والذكر والانثى فقال أبو الدرداه أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوني على ان أقرأ وما خلق الذكر والانثى والله لا أتابعهم وأنت تعلم أن هذه قراءة شاذة منقولة آحادا لا تتجوز القراءة بها لكنها بالنسبة الى من سمعها من النبي عليه الصلاة والسلام في حكم المتواترة تتجوز قراءته بها وذكر نعلب أن من السلف من قرأ وما خلق الذكر بجر الراء وحكاها الزمخشري عن الكسائي وخرجوا ذلك على البدل من